Religious Semantic Areas in the Poems of Allameh Seyed Mohammad Hussein Fadlallah (Case Study: Ghasaed Leleslam va Alhayat)

Hosein Mohtadi*

Abstract:
Allameh Fadlallah studied at the Seminary of Najaf, and this area had a considerable impact on the formation of his character. From the very beginning of his childhood, he made a strong relation with Islamic thoughts. He grew up in a religious, literary, and erudite family, both in Lebanon or in Najaf. "Ghasaed Leleslam va Alhayat" is one of his best known poetical works. The aforementioned work paved a novel way toward Arabic poetry, in general, and Iraqi-Najafi poetry, in particular. His poetic dictionary is replete with various vocabularies. In his relation with God as well as in his prayers, Fadlallah uses various words and terms linking man to the world of infinity. By investigating "Ghasaed Leleslam va Alhayat" (Poetry), in the present study, attempts were made to examine the religious thoughts of the aforementioned poet and to determine the most significant semantic fields used in this work. The most prominent religious semantic fields used in this work are divided into two groups: semantic fields of religion principals and that of the religion minor principles. Both fields are also divided into further subfields. In each semantic field, the special terms of that field is used by the poet. In addition to pointing out these fields, this study deals with the way of using the aforementioned terms by the poet. In these fields, thematic codes leading to the awareness of people, particularly the lovers of AhlulBayt.

Keywords: Seyed Mohammad Hussein Fadlallah؛ Semantic Fields؛ Semantics؛ Religious Poetry

* Assistant Professor of Arabic Language and Literature, Persian Gulf University, Booshehr, Iran
mohtadi@pgu.ac.ir
Received: 23/08/2016 Accepted: 02/01/2018
This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

بحوث في اللغة العربية: نصف سنوية علمية محكمة لكلية اللغات الأجنبية بجامعة إصفهان
العدد ١٨ (ربيع وصيف ١٤٣٩هـ. ق/ ١٣٩٧ هـ. ش)، ص ٢٠ ـ ١

الحقول الدلالية الدينية في أشعار العلامة السيّد محمّد حسين فضل الله

ديوان *قصائد للإسلام والحياة* نموذجاً[١]

حسين مهتدي ❖

الملخّص

ومِن أهمّ دواوين العلامة فضل الله هو ديوان قصائد للإسلام والحياة. لقد مثّلَ هذا الديوان اتّجاهاً جديداً في الشّعر العربي عامّةً، والعراقي النّجفي على وجهِ الخصوص. جاء معجمه الشعري موحياً معبّراً غير مقتصرٍ على كلمات محدّدة. فقد تنوّع معجمُه الرّوحي في لحظات الدّعاء والتأمّل والابتهال إلى الله، فضمَّ العديد مِن المفردات المنفتحة على العالم الرحب اللانهائي المطلق. الحقل الدلالي باب مِن أبواب علم الدلالة في الدراسات اللغوية الحديثة. ويهدف هذا البحث إلى تحديد الحقول الدلالية الدينية في ديوانه «قصائد للإسلام والحياة». أهمّ الحقول الدلالية الدينية التي استخدمها الشاعر في هذا الديوان يدور حول الحقلين: حقل أصول الدّين وحقل فروع الدّين. وكلّ منهما ينقسم إلى فروع متعدّدة. سنستعرض في هذا البحث هذين الحقلين الدلالين، وكيف وظفّهما الشاعر في أشعاره. الشاعر يستثمر في ديوانه الرمز الموضوعي، وهو الّذي يستثير التراث بما فيه مِن طاقات تفجر الوعي لدى الجمهور المسلم، خاصة الرموز الحية في نفوس أنصار أهل البيت، وقد يعمد الشاعر إلى الرموز اللغوية مِن مثل: الذئاب والكلاب والظلام والنور والرياح. إنّ الحقول الدلالية عند الشاعر احتوت على ألفاظ موحية، سواء منها ما أُخِذَ مِن اللغة الحديثة، التي تتماشى مع روح العصر، وما أُخِذَ مِن لغة القرآن التي يتمثّلها السيّد دوماً في درسه، وتأليفه، وتفسيره القرآن الكريم، ودعائه. وهذا الجمع بين لغة المعاصرة، وبين اللغتين، الدينية، والتراثية يدلّ على امتلاكه لناصعة اللغة. ينتقي الشاعر مِن الألفاظ ما يشاء بعيداً عن الغرابة القاموسيّة، بل جاءت ألفاظه مناسبة، متناسقة مع أسلوبه الشعري. فقد اعتمدنا في دراستنا على المنهج الوصفي والتحليلي وقمنا باستقراء الأبيات التي تدلّ على الحقول الدلالية الدينية، وحدّدنا من دواوينه «قصائد للإسلام والحياة»، لكي نستنتج نتيجة ملموسة.

المفردات الرئيسية: السيّد محمد حسين فضل الله، الحقول الدلاليّة، علم الدلالة، الشعر الديني

١ـ تاريخ التسلم: ١٣٩٥/٦/٢هـ. ش؛ تاريخ القبول: ١٣٩٦/١٠/١٢هـ. ش.

❖ أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية بجامعة خليج فارس بوشهر
Email: mohtadi@pgu.ac.ir

١ـ المقدّمة

يعدّ مبحث الحقول الدلالية مِن المباحث الّتي لم تتبلور فيها نظرية دلاليّة جامعة رغم الجهود اللغويّة لعلماء الألسنة والدلالة. الحقل الدلالي باب مِن أبواب علم الدلالة في الدراسات اللغوية الحديثة. إنّ علم الدلالة، فرع مِن فروع علم اللغة، **«وأداة الدلالة فيه هي اللفظ والكلمة»** (أنيس، ١٩٨٤م، ص ٣٨)، وهو دراسة معنى الألفاظ. والمعنى اللغوي هو العلاقة الّتي تتحقّق باتحاد عنصري العلاقة اللغوية أي الدال والمدلول حيث يوجد بينهما تلاحم وثيق وقد شبّههما دي سوسير بورقة ذات الوجهين: أحدهما هو الدالّ والآخر هو المدلول، فلا يمكن تمزيق أحد الوجهين دون تمزيق الآخر. أي لا يمكن فصل الدالّ عن المدلول أو العكس (الضامن، ١٩٨٩م، ص٧٢). **«تمثّل نظرية الحقول الدلاليّة الطريقة الأكثر حداثة في علم الدلالة فهي لا تسعى إلى البنية الداخلية لمدلول المونمات [الكلمات] فحسب، وإنّما إلى الكشف عن بنية أخرى تسمح لنا بالتأكيد أن هناك قرابة دلاليّة بين مدلولات عدد معين مِن المونمات»** (عبدالجليل، ٢٠٠١م، ص ٧٩).

الحقل الدلالي يتطرّق إلى جميع الكلمات أو المعاني المتقاربة ذات الملامح الدلاليّة المشتركة وجعلها تحت لفظ عام يجمعها. فكلمة «وعاء» مثلاً يمكن أن تدخل تحتها ألفاظ مثل: "كوب، كأس، طبق، قدر، إناء الزمور، ما يوزن به السوائل...."، بعبارة أخرى «الحقل الدلالي (Semantic field) أو الحقل المعجمي (Lexical field)، هو مجموعة مِن الكلمات ترتبط دلالتها، وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها. مثال ذلك كلمات الألوان في اللغة العربيّة، فهي تقع تحت المصطلح العام «لون» وتضمّ ألفاظاً مثل: أحمر، أزرق، أصفر، أخضر، أبيض... . وعرّفه أُولمان (Ullmann) بقوله: **«هو قطاع متكامل مِن المادة اللغويّة يعبّر عن مجال معين مِن الخبرة وليونز (Lyons) بقوله: مجموعة جزئية لمفردات اللغة»** (مختار عمر، ١٩٩٨م، ص ٧٩). عرّف عبدالسلام المسدي الحقل الدلالي بأنّه **«كلّ الكلمات الّتي لها علاقة ما بتلك الكلمة، سواء أكانت علاقة ترادف، أم تضاد، أم تقابل الجزء مِن الكلّ، أو الكلّ مِن الجزء»** (١٩٧٧م، ص ٢٥).

لكي يُفهم معنى كلمة يجب أن يُفهمَ كذلك مجموعة الكلمات المتصلة بها دلالياً **«كما يقول ليونز (Lyons): يجب دراسة العلاقات بين المفردات داخل الحقل أو الموضوع الفرعي. ولهذا عَرَّفَ ليونز (Lyons) معنى الكلمة بأنّه محصلة علاقتها بالكلمات الأخرى في داخل الحق المعجمي، وهدف التحليل للحقول الدلاليّة هو جمع كلّ الكلمات الّتي تخصّ حقلا معيناً، والكشف عن صلاتها الواحد منها بالآخر، وصلاتها بالمصطلح العام»** (مختار عمر، ١٩٩٨م، ص ٨٠).

للحقول الدلاليّة خمسة أنواع: ١ـ الموجودات: كتاب، دفتر، كرسي، سيارة، شجرة، جبل، بحر... ٢ـ الأحداث بلغة علم الدلالة أو الأفعال بلغة علم النحو: جَلَسَ، رَكَضَ، مَشَى، قامَ، كتَبَ... ٣ـ المجرّدات بلغة علم الدلالة أو المصادر بلغة علم النحو: جلوس، مشي، تفكير، قراءة، كتابة... ٤ـ الصفات: بعيد، قريب، ذكي، كريم... ٥ـ العلاقات أو الكلمات الرابطة بلغة علم الدلالة أو في أغلبها الحروف بلغة علم النحو: في، بين، فوق، تحت، إلى، مِن ... (الخولي، ٢٠٠١م، ص ١٧٩).

في هذه المقالة الّتي تستفيد مِن المنهج الوصفي ـ التحليلي نسعى للإجابة عن هذا السؤال: ما هو أهم الحقول الدلاليّة الّتي استخدمها الشاعر في ديوانه «قصائد للإسلام والحياة»؟ وعلى أيّ شيءٍ تدلّ المفردات الّتي استخدمها الشاعر في ديوانه؟ وكيف وظّفها الشاعر في ديوانه؟ بما أنّ ضيق مساحة البحث لا يتيح لنا الإلمام بكافة جوانب نظرية الحقول الدلاليّة اقتصرنا مسار البحث على الحقول الدلاليّة الأربعة كالموجودات، والأحداث، والمجرّدات، والصفات، ثمّ قمنا بدراسة هذه الموضوعات في الحقول الدلاليّة الدينيّة.

٢ـ خلفية البحث

فيما يتعلّق بالدارسات السابقة لأشعار العلامة السيد محمد حسين فضل الله يجدر بنا القول إنّ بعض الباحثين تطرّقوا إلى أشعار هذا الشاعر ومِن أهمّ هذه الدراسات هي: ١ـ «السيد محمد حسين فضل الله شاعراً»، إسماعيل خليل أبوصالح، بيروت، دار الملاك، ٢٠٠٣م؛ ٢ـ «الاتجاه الروحي في شعر السيد محمد حسين فضل الله»، علي رفعت مهدي، بيروت، دار الملاك، ٢٠٠٤م؛ ٣ـ «آل البيت في شعر السيد محمد حسين فضل الله»، علي رفعت مهدي، بيروت، دار الملاك، ٢٠٠٠م؛ ٤ـ «بن‌مایه‌های شهادت در اشعار علامه سید محمد حسین فضل الله»، حسين مهتدي، ورسول بلاوي، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، شتاء ١٣٩٣؛ ٥ـ «عاشوراء در آیینه اشعار علامه سید محمد حسین فضل الله»، حسين مهتدي، خداداد بحري، مجلة نقد أدب معاصر عربي، ١٣٩٤؛ ٦ـ «جلوه‌های بیداری اسلامي در أشعار علامه سید محمد حسین فضل الله»، حسين مهتدي، مجله ادبيات پايدارى، شتاء ١٣٩٥؛ ٧ـ «شخصية الرسول الأعظم في أشعار العلامة السيد محمد حسين فضل الله»، حسين مهتدي، مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، صيف ١٤٣٥ه. ولكن تختلف هذه المقالة عما سبقها مِن البحوث والدراسات مِن أوجه، وهي أنّ ما أُلّفَ حتّى الآن مِن الكتب والمقالات لم تتطرّق إلى نظرية الحقول الدلالية في أشعار شاعرنا هذا. لذلك هذا المقال هو أوّل دراسة يُكتب في موضوع الحقول الدلالية في أشعار العلامة السيد محمد حسين فضل الله. وأخيراً نرجو أن تكشف هذه الدراسة آفاقاً جديدةً في الموضوع وتضعها بين يدي القرّاء الأعزّاء في ضوء ما توصّلت إليه الدراسات السابقة مِن نتائج إضافة إلى إكمالها والتطرّق إلى الموضوعات الّتي لم تتم الإشارة إليها سابقاً.

٣ـ الحقول الدلاليّة في الديوان

إنّ ديوان «قصائد للإسلام والحياة» يَعِجّ بالحقول الدلالية، فقد جَمَعَ الشاعر فيه كلّ ما يمكن قوله في المسائل الدينية والعقائديّة، ويضمنه تساؤلاته الدينيّة والفكريّة. تخيّرنا من مجموعة دواوين الشاعر ديوان «قصائد للإسلام والحياة» للوصول إلى نتيجة ملموسة. فقمنا بتحديد أهمّ الحقول الدلاليّة الّتي دار حولها المعجم الشعري للعلامة فضل الله في هذا الديوان، والمعجم الشعري عند شاعرنا هذا يدور حول حقول دلالية عديدة وأهمّها: حقل أصول الدين وحقل فروع الدّين وكلّ منهما ينقسم إلى فروع متعددة.

١ـ٣ حقل أصول الدين

الأصول الإسلامية خمسة، ثلاثة منها تعتبر أصول الدين، وهي التوحيد، والنبوّة، والمعاد، وأمّا العدل والإمامة، فهما من أصول المذهب، مما يعني أن رفض شيء منهما لا يقتضي الخروج عن الإسلام، وإنما يقتضي الخروج عن المذهب. وفيما يلي نتطرّق إلى حقل أصول الدّين في أشعار العلامة فضل الله:

١ـ١ـ٣ التوحيد

العلامة فضل الله في ديوانه المسمّى بـ«قصائد للإسلام والحياة» يسعى إلى تذكير الإنسان المسلم بأنّ كلّ مشاهد الكون تدلّ دلالة قطعية على وحدانية الله ولا إله إلّا الله، وهو المعبود الحقيقي وربّنا ويدبّر أمورنا ويقول السيّد:

أيُهـــــا النـــــاسُ؛ لا إلـــــهَ ســـــ ـــــــوى اللهِ ولـــــيّ الإيجـــــادِ

(فضل الله، ٢٠٠١م، ص ٩٤).

أيَّ شـــــيءٍ يقـــــولُ لا ربَّ إلّـــــا الله ســـــــرُّ انطلاقـــــةِ الضـــــعفاءِ

(المصدر نفسه، ص ١٨٢).

استفاد الشاعر في هذين البيتين من الأسماء والصفات الحميدة لله تعالى: هو إله، ربّ، الله، وليّ الإيجاد والتدبير، سرّ الانطلاقة عن القيود والسلاسل. الله تعالى في نظرة الشاعر ليس إله العبادة فحسب، بل إنّه خالق السماوات والأرض، ومُدبِّر الأمور، وسرّ انطلاقة الضعفاء. إنّ رأي الشاعر بالنسبة إلى الله، هو رأي مَن يدرك دونيته، مقابل ترفع الباري في رحاب الملكوت الأعلى، والعُلاء الّذي يختص به الله وحده.

يتساءل الشاعر في أشعاره عن سرّ وجوده وحياته وروحه، واشتاق إلى رحمة الله العظيمة والّتي كتبها الله تعالى على نفسه ﴿كَتَبَ ربُّكُم على نَفسِهِ الرّحمةَ﴾ (الأنعام ٤: ٥٤). يقول الشاعر في قصيدة بعنوان «ربّ رحماك»:

ربِّ رُحمـــــاكَ إنَّ روحـــــيّ تـــــذوي وفـــــؤادي يـــــذوبُ شـــــيئا فشـــــيئا

ربِّ رُحمـــــاك أنـــــتَ قَـــــدَّرتَ لـــــي فَهَـــــب لـــــي إن شـــــئتَ قلبـــــاً رضـــــيّا

(فضل الله، ٢٠٠١م، صص ١٣ -١٤).

لقد غرق الشاعر في عشقه للخالق. فبناء على هذا، تتكرّر كلمة "رحماك" في هذه القصيدة وهي تدلّ على أن لا ملجأ للشاعر غير باب رحمة الله وهو غير يائس من رحمته الّتي وسعت كلّ شيء واشتاق الشاعر إلى رحمة الّتي أملها في الزمن الذي كثرت الأهواء ليفكّر في ذاته، وليؤمن أنّ التية والغربة والضّياع درب إلى اليقين الذي أحبَّه. ويسأل الله تعالى الصراط المستقيم لأنّ طريق الضياء عند الله هي طريق الله ويطلب من الله تعالى قلب الإيمان المطمئن الرضيّ.

إنّ قلب الشاعر هو قلب عاشق، هو الروح الّتي لا يعلم سرّها وحقيقتها إلّا الله. وما يسكن قلب الشاعر إلّا الدعاء. لهذا يناجي الشاعر الله تعالى ويتضرّع إليه ويدعوه. «**إنّ أجواء الزيارة والدعاء في النجف، وحبّ الشاعر وشغفه لهذه الأجواء دفعته إلى تلمّس طريق الدعاء ممارسةً وسلوكاً وشعراً. فقد آنسَ بالله سبحانه جليساً ورفيقاً وصاحباً وحبيباً وَرحماناً ورحيماً وهاديا وغفوراً، لا سيّما أن أدعيته وابتهالاته شكّلت لحظة هناء له، وراحة لنفسه، واستقراراً لذاته، فحسبه الدعاء وحسن الظنّ بالإجابة**» (مهدي، ٢٠٠٤م، ص ١٦٣).

ويمكن تحديد الحقول الدلالية الّتي تخيّر منها الشاعر مفرداته حسب التصنيف الآتي:

حقل الموجودات: الله، إله، ربّ، القرآن، القلب، الروح، الأرض، الكون، الشراب، الطعام، الشمس، السماء، الينابيع.

حقل الأحداث: قدّرتَ، رُحماك، هَبْ، خلقتَني، نوحّد، اهدَني، يقود، نؤمن، أعطني، نعَذّبُ، أرجو، يكشف، ضُمّني، أودعتَ.

حقل المجرّدات: السماحة، اللطف، غفران، الحقيقة، إيمان، الإيجاد، التدبير، الرّحمة، العفو.

حقل الصفات: العالِم، الخالق، العُلي، غفور، الطُهر، سويّاً، هَنّاء، ابتهال، خبير، أحدٌ.

مِن الجليّ أنّ هذه الحقول تدخل أغلبيتها ضمن الكلمات "الرّحمة والخَالقية والوحدانية"، وأنّها تتداخل عبر كثير مِن المفردات. وفي ضوء هذا التصنيف، نرى أنّ الرّحمة والخَالقيّة والوحدانيّة هي الغالبة في معجم الشاعر في هذا المحور. عندما يرزقنا

الله نعمة فهو من رحمته، وعندما يغفر لنا ذنوبنا فهو من رحمته، وهو سرّ هذا الوجود وخالقه وخالق السماوات والأرض وما فيها. لهذا كلّ المفردات التي نراها في محور التوحيد تدور حول صفة الرّحمة والخالقيّة لله تعالى. ويعبّر الشاعر عن رحمة الله تارة بفعل الأمر: رحماك، هَب، أعطني، ضُمّني، وتارة بالاسم: اللّطف، الرّحمة، العفو، السماحة، الهنّاء. ويعبّر الشاعر عن وحدانيّة الله بالأمر المسند للمخاطب وذلك أمثال: رحماك، هَب، أعطني، ضُمّني، اهدَني، وأحياناً بالماضي المسند للمخاطب وهو واضح في: قدّرتَ، خلقتَ، أودعتَ، أو باستخدام الأسماء المفردة الّتي تدلّ على الوحدانيّة لله تعالى في كلمات مثل: أحد، ربّ، الله، إله، العالِم، الخالق، الغفور، أو الفعل المضارع مثل: نوحّد الإله.

٢.١.٣ النبوة

خصّص العلامة قسماً محدَّداً من ديوانه بموضوع النبوّة تحت عنوان في رحاب رسول الله. وأنشد القصيدتين في هذا المجال: «يا رسول الحياة»، و«مِن وحي الميلاد النبوي». وفي ضمن قصائد أخرى يشير الشاعر إلى موضوع النبوّة أيضا. مِن الأنبياء الّذين ذَكَرَ الشاعر أسماءَهم في ديوانه هم: الرسول الأعظم محمّد ﷺ، وعيسى عليه السلام، وموسى عليه السلام (فضل الله، ٢٠٠١م، صص ٨١، ٣٣٧، ١٨٢)، وما ذُكِرَت أسماء الكتب السماوية في أشعار الشاعر إلّا القرآن الكريم والإنجيل (المصدر نفسه، صص ١٨٢، ٣٣٧).

النبيّ في نظر الشاعر نبيُّ الأحرار:

يـــا نـــبيَّ الأحـــرار هـــذي ســـرايا ... كَ أســـــارى في قبضـــــةِ الأعـــــداء

خـــدعوها باســـم (الحمايـــة) وامتـــدّ ... ت يـــــدٌ بالسلاســـــلِ الصّـــــمّاءِ

ترهـــقُ الشّـــعبَ بـــالقيودِ وتهـــوي ... بســـياطِ اللّظـــى علـــى الضُّـــعفاء

(فضل الله، ٢٠٠١م، ص ٧١).

يقول الشاعر في هذه الأبيات: ابتعد أتباع الرسول عن قيم الرسالة وحركة النبيّ، والأعداء خدعوا النّاس باسم الحماية والدفاع عنهم وظلموا في حقّهم خاصة في حقّ الضعفاء واستغلّوهم وفي الحقيقة أصبح الأتباع كأسراء في قبضة الأعداء ولا طريق لهم إلّا الرجوع إلى دعوة النبيّ. يقول الشاعر:

يـــا رســـول الحيـــاة نَضِّـــرْ قصـــيدي ... بنثـــارٍ مِـــن فجـــركَ المنشـــودِ

كيـفَ كـان الهُـدى يهـزُّ عـروشَ الظّلـمِ ... في فتكـــــةِ الرِّمـــــاحِ الميـــــدِ

(المصدر نفسه، ص ٥٩).

والرسول هو رسول الحياة. الشاعر يخاطب الرسولَ محمّداً ﷺ في قصيدة، بعنوان *يا رسولَ الحياة والشاعر*. يقف طويلًا عند معاناة الرسول من طاغوت الجاهلية وتذكيره المسلمين بأنّ لهم في السيرة المحمديّة دليلاً وهادياً، ويتّخذ مِن ذكراه مناسبة لتذكير الجيل بالفتوحات الّتي تحقّقت على يدي الرّسول الأعظم ﷺ ويحذر الجيل من الابتعاد عن نهج النّبي ﷺ. **«ولقد سمع الشاعر وأطاع، فسارَ على دربِ الرّسول مستمسكاً وهو يعيش حياة الضياع والضلال، يسعى وراء ملذات الحياة وقرارات دنياه»** (مهدي، ٢٠٠٤م، ص ٢٤٠).

ويمكن تحديد الحقول الدلالية الّتي استقى منها الشاعر مفرداته حسب الترتيب التالي:

حقل الموجودات: الأنبياء، النبيّ، محمّد، أحمد، عيسى، موسى، قرآن، الإنجيل، الضباب، القيود، البيداء، السياط، السلاسل، الطغاة، الفجر، الضحى.

حقل الأحداث: ازرَعْ، تعَهَّدْ، تطلّعُ، مُدَّ، يفتتحُ، يطوي، تبعث، تصُبُّ، تثير، تضمّ، نَضِّر، يدعو، أناجي، أوحيتَ.

حقل المجرّدات: التوحيد، اليقظة، التحرّر، النصر، الحقّ، العبودية، الدعوة، الحنان، الرحمة، السنا، الضياء، الإغواء، الغطاء، الظلام.

حقل الصفات: الرّضا، الصفاء، السلام، الخير، الحقّ، الطُّهر، الجوفاء، البغضاء، الظلماء، العمياء، الصمّاء، الوضّاء.

والشاعر استخدم المرادفات المختلفة. المرادف الأوّل هو: النور، الضحى، الفجر، الشعاع الضياء، السناء. والمرادف الثاني هو: الحبّ، الجمال، الربيع. والمرادف الثالث هو: الحقّ، الخير، الإخاء، الرجاء. وفي المقابل اختار السيد لمن لا يقبل الإسلام رموزاً مختلفةً ومنها: الدّجى، الظلماء، العمياء، الجاهلية الجوفاء، البيداء، الزّيف، البغضاء، السلاسل الصمّاء القيود، سياط اللظى، ليل الجهل (المصدر نفسه، صص ٧٢ ـ ٦٨). ومن اللافت للنظر أنّ الشاعر اعتمد على الكلمات الّتي تدور في محور النور والدجى ليبيّن لنا مَن يؤمن بالله ويشهد برسوله فقد دخل الإسلام كأنّه دخل في النور، ومن يشرك بالله ويكذّب برسوله فقد دخل الدجى والظلماء، كأنّه يكون في الجاهلية الجوفاء.

٣ـ١ـ٣ المعاد

المعاد هو أصل الثالث مِن أصول الدين. يوظّف الشاعر عدداً مِن الألفاظ والتراكيب ليحدّد نظرته ورأيه حول المعاد. والشاعر اقتبس ألفاظه في هذا المحور من القرآن الكريم. يذكر الشاعر في هذا الحقل أسماء يوم القيامة ويشير إلى الجزاء أو العقاب فيه. تحدّث الشاعر في أشعاره الصوفية عن المعاد ويوم القيامة، حيث يقول:

وأنـــا راجـــعٌ إليـــكَ بقلـــبي إنَّ قلـــبي صـــحيفة بيضـــاء

(المصدر نفسه، ص ٢٠).

أشار الشاعر إلى المعاد يقول عندما يموت الإنسان لا ينتهي حياته، بل هو يرجع إلى خالقه "إليك" الّذي سيرجع إليه كلّ مخلوق خلقه، ولكن السؤال الّذي يطرح، هو كيف يرجع الشاعر إلى خالقه وعلى أية صورة وهيئة؟ الشاعر يأتي بالجار والمجرور "بقلبي" ليظهر هيئة الرجوع، فالرجوع إلى الخالق ليس رجوعاً ماديا وجسمانياً فحسب، بل بقلبه مستودع الأسرار والحبّ واليقين والحنان.

القُـــوَّةُ أيُّهـــا الأقويـــاءُ هـــل تَنفَـــعُ في مَوعـــدِ الحِســـابِ الحـــزين

(المصدر نفسه، ص ٤٠٢).

وفي كيـــاني لهفـــةٌ للمـــدَى المجهـــولِ للغيـــب... فهـــل نلتقـــي

(المصدر نفسه، ص ٢٠).

عبارة "المدَى المجهول" تشير إلى اللانهاية، حيث الجنة الّتي أُعِدّت للمتّقين. والمقصود من الغيب هو عالَم الغيب والمعاد، الّذي يعدّ الإيمان به أرقى درجات التّقوى واليقين، وبشّر الله تعالى المؤمنين بهذا الغيب: ﴿**ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ (التوبة ٩: ٩٤). وجاء الاستفهام "هل" للتمنّي وليس الاستفهام حقيقياً، لأنّ الشاعر يأمل لقاء الله

مبتعداً عن أدران دنياه التي تعدّ بالنسبة إليه دار لهو بينما جعل الله داره الراحة لمن لا يريد علواً في الأرض ولا فساداً: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَ لا فَساداً وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القصص ٢٨ : ٨٣). وأردف الشاعر قائلا :

فـــإذا شـــئتَ أن تعـــذّبَ جســـمي بغوايـــــاتي فحســـــبي الـــــدّعاءُ

(فضل الله، ٢٠٠١م، ص ٢٠).

غـــيرَ أنَّ اللّظـــى تـــؤُجُّ وقدتحـــ ـــــرقُ نيرانُهـــا غـــدَ الأدعيـــاء

حيـــــثُ تحيـــــا أعمالنـــــا في اللهِ يـــومَ التُّقـــى ويـــومَ الجـــزاء

(المصدر نفسه، ص ٣٠).

يعتقد الشاعر أنّ للإنسان المذنب عذاباً يوم القيامة. والجار والمجرور "بغواياتي" يشير إلى سبب العذاب. وبهذه الطريق الشاعر يحذّر كلّ إنسان من القيام بأعمال لا يرضى الله بها."حيث" يشير إلى يوم القيام وهو يوم الحساب، ويوم الجزاء، ويوم التّقى. وفي المقابل يتحدّث الشاعر عن جنة عدن حيث يقول:

تحضُـــنُ أحلامُهُـــم جَنَّـــةَ الـــ ـــخلودِ إلى حيـــثُ يســـمو العـــلاء

ومـــن وحيـــه أن نعـــيشَ الجمـــال كمـــا عـــاشَ في الجنّـــةِ الأتقيـــاءُ

(المصدر نفسه، ص ٣٣ -٣٤).

الجنّة جزاء للأتقياء الصالحين، الّذين آمنوا بكلّ هذه المباديء والرؤى وعاشوها في واقعهم وهم فيها خالدون ومن ميزات هذه الجنّة هو الخلود والرضوان. ويمكن تحديد الحقول الدلالية الّتي جمع منها الشاعر مفرداته حسب الترتيب الآتية:

حقل الموجودات: الجنّة، الجحيم، الذنوب، نيران، اللظى، الأتقياء.

حقل الأحداث: نلتقي، ارتقى، مرَّ، ماتَ، تعذّب، تؤجّ، تحرق.

حقل المجرّدات: الجزاء، التّقى، العفو، الرجاء، الغيب.

حقل الصفات: المجهول، الرضوان، الخلود، البيضاء.

مِن الجليّ أنّ هذه الحقول تدخل أغلبيتها ضمن ثنائيّة "الجنة والجحيم"، وأنّها تتداخل عبر كثير مِن المفردات. يذكر الشاعر أسماء يوم القيامة وهو يوم التّقى ويوم الجزاء، ويوم الحساب، والمدى المجهول. ويدخل الأتقياء في الجنة والجنّه هي جنّة الرضوان وجنّة الخلود وهم يرجون لقاء الله فيها. ويدخل المذنبون في الجحيم وفيها يُحرَقون ويُعذَّبون واللّظى تؤُجُّ وتحرق نيرانها الأدعياء والمذنبين.

٤.١.٣ الإمامة

محور الإمامة يشكّل مساحة كبيرة من الخطاب الشعري لدى العلامة فضل الله، وهذا يعطي مؤشّراً على مدى اهتمام الشاعر بموضوع الإمامة وإحساسه إليه؛ سواءً جاء التعبير عنه بمفردة الإمامة، أم بالمفردات المعبّرة عنها. إنّ هناك نقطة لا بُدَّ أن نشير إليه، وهي أنّ الشاعر في ديوانه *قصائد للإسلام والحياة* أنشد أشعاراً حول الإمام عليّ، والإمام الحسين، الإمام الصادق عليه السلام والإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف وجعلها في ديوانه بعنوان *في رحاب أهل البيت*. وهنا نتطرّق إلى أشعارٍ أنشدها الشاعر حول الأئمّة عليهم السّلام:

ـ **الإمام عليّ** عليه السلام : يقول الشاعر حول الإمام علي عليه السلام :

ذكـرى الوصـيِّ وكـم قُمنـا نُشـيدُ بهـا دَهـرًا توالـت بـه الأحـداثُ والغِيَـرُ العـلاء

(فضل الله، ٢٠٠١م، ص ٧٧).

وإذا بـــالنبيِّ يَهتِـــفُ بالدُّنـــا ـــيا علـــيٌّ خلـــيفتي ووزيـــري

(المصدر نفسه، ص ٩٤).

الإمام عليّ عليه السلام في رأي الشاعر ـ كما ينبعث هذا الرأي مِن فقه الشيعة ـ هو أخو الرسول، ووصيّه، وخليفته، ووزيره، والوصاية امتداد لرسالة النبيّ وحفظ دينه هو موضوع ذُكرِ في المصادر الموثوق بها: **«يا عليُّ أنتَ أخي ووصيّي»** (كوفي، ١٤١٢ه، ج ١، ص ٣٥١)، **«يا عليُّ، أنتَ الإمامُ و الخليفةُ مِن بعدي»** (خزّاز قمي، ١٤٠١ه، ص ١٥٧). بعد ما ذَكَرَ مكانة الإمام عليّ عليه السلام بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يشير إلى ألقابه ويقول:

الإمام عليّ عليه السلام **«سيف مِن الحقّ// قرآنُ حقٍّ// إمام العدل// سبيل العدل// رائد الفجر// عطر النبوّة// إمام الأحرار// أنشودة الدُّرى// نجيّ الذُّرى// رمز الحياة// رمز الحقيقة/ تاريخ الأمّة// باعث التاريخ// إمام الأحرار// الكوكب// زورق الحياة// نور الحياة»** (فضل الله، ٢٠٠١م، صص ٧٨ -٩٧):

قـرآنُ حـقٍّ وكـم مِـن حكمـةٍ ظَهَـرَت فيـه وكـم في مجـالي[1] آيـهِ عِبَـر

يـا سـيّدي يـا إمـام العـدلِ معـذرةً فَقَـد تَبـدّلَ منّـا الـرأيُ والنّظَـرُ

وقلـتَ هـذا سـبيلُ العـدلِ مُنـبلِجٌ أمـامَكُم، ومَعـينُ الحـقِّ مُنهَمِـرُ

(المصدر نفسه، صص ٧٨، ٧٩).

إذا دقّقنا في هذه الأبيات سنجد أنّ مَن يبحث عن كيفيّة العدل والحقّ فينبغي له أن يعرف الإمام عليّ عليه السلام، لأنّه هو إمام العدل، ومَعين الحقّ، تاريخ الأئمّة. يخاطب الشاعر الإمام عليه السلام ويقول في عصرنا الحاضر قد تغيّر الفكر الرأي الّذي تعتقده الأمّة قياساً عمّا أرساه الإمام عليّ عليه السلام وفي نظرة الشاعر، الإمام عليّ عليه السلام سنّ سبيل العدل وعلى الآخرين الإقتداء به وتمثّله لأنّه منير وجليّ أمام القارئين لسيرة الوصيّ، وأضاف الشاعر المبتدأ "معين" إلى "الحقّ" ليعطي الإمام عليه السلام هويّة الينبوع الّذي تتدفّق منه قيم العدالة وجاء الشاعر بالخبر "منهمر" ليمنح الإمام عليه السلام هوية المطر الّذي يرمز للحياة. إذا دقّقنا النظر في أشعار الشاعر حول الإمام عليّ عليه السلام نجد أنّ الشاعر يؤكّد على عدالة الإمام علي عليه السلام وكلّ ما يتعلّق بالعدالة مِن أنّ الخلق في الحقوق سواء، وبعدالته يُصلِح الإمامُ المجتمعَ مِن الظلم والفساد والفقر.

ـ **الإمام الحسين** عليه السلام : الإمام حسين عليه السلام عند الشاعر هو **«رمز الإباء، وقطب الهدى، والمنقذ الأعظم، وسرّ الإله، وكعبة المسلمين، وسبط النبيّ، سيّد النّفر الناهضين، ونهضة الحق»** (فضل الله، ٢٠٠١م، صص ١٠٣ -١٠٦). الإمام حسين عليه السلام سجّلَ بشهادته صفحة الحقّ في وجه الباطل، وصرخة العدل مقابل الظلم، حيث يقول الشاعر:

هنـــا حيـــثُ يَرقُـــدُ رمـــز الإبـــا وقطـــب الهـــدى المنقـــذ الأعظـــم

هنـــا حيـــثُ يَرقُـــدُ ســـرّ الإلـــه وحيـــث الهـــدى مِـــن أســـيٍّ، مفعـــمُ

---

١. المجالي: الواحد مَجلَى وهو موضع الجلاء ما يُرَى مِن الوجه إذا استُقبلَ الوجه.

(المصدر نفسه، ص ١٠٣).

الإمام الحسين عليه السلام سرّ الإباء لأنّه وقف أمام الظالمين ولم يستسلم وخطّه هو خطّ الرفض، الرفض للوثنية وللانحراف وللجاهلية وللظلم ولكلّ الّذين يستعبدون النّاس. ولم يقف ليبايع الانحراف والفساد في الأمّة الّتي توّلاها الطّاغية يزيد وإنّما تحرّك بقوّة وعزّة وإباء ليغيّر الواقع الفاسد، ويثور على الضالّين والكافرين وأنجى الناسَ مِن ظلمهم وفسادهم وهو قطب الهدى لأنّه مصباح الهدى وسفينة النجاة. إنّ النهضة الحسينيّة نهضة الحقّ ولاترتبط بزمان ومكان، بل هي حركة الحقّ في رحاب الإنسانيّة، وحركة الصراع الدائم بين الهدى والضلال، والإيمان والكفر، والحقّ والباطل، والعدل والظّلم، لذلك ليس غريبًا أن يعيش الإمام الحسين عليه السلام في العقول والوجدان والقلوب ثورة خالدة.

ـ الإمام الصادق عليه السلام : عاش الإمام في ظلّ الصّراع بين بني أميّة وخلفاء بني العبّاس، **«وقد كان عصره عصر حركة وعصر انفتاح حركة في الفكر وحركة في السّياسة وانفتاح على منطلقات عميقة البعد في هذين المجالين اقتضته طبيعة التغيير والانتقال المرحلي الّذي تفرضه حركة التاريخ وتطلّعات الإنسان نحو المنطلق الأفضل»** (فضل الله، ١٩٨١، ص ١٠٣)، في ظلّ هذه الأجواء، كان الإمام الصادق عليه السلام يتحرّك ويرشد ويبلّغ ويحضر الطلابُ والعلماءُ حلقاته العلميّة من أنحاء العالم. ولهذا شاعرنا هذا يفتخر تماماً أنّه ينتسب إلى هذه الشخصيّة العظيمة في تاريخ الإنسانيّة، وأنشد أشعاراً رائعةً حول هذا الإمام المعصوم عليه السلام بما أنّ ثورة الإمام الصادق عليه السلام كانت ثورة فكرية الكلمات الّتي جاء بها الشاعر في أشعاره حول هذا الإمام تدور حول محور الفكر والعلم والهداية ومنها: الفكر، العلم، الهدى، النور، يشرق، مشعل يتوقّد، السنا، الصباح، إيقاظ الشعوب، سرّ يغور، الدين (فضل الله، ٢٠٠١م، ص ١٠٧ -١١٠)، حيث يقول:

ذكـــراك فينـــا ثـــورةٌ تتجـــدَّدُ للفكـــرِ تســـبقُ العصـــورَ فتخلُـــدُ

ومجـــالُ دنيـــا كُنـــتَ تُلـــهِبُ روحَهـــا بـــالنّور يُشـــرقُ مِـــن هـــداك فيصـــعَدُ

فبَعثـــتَ روحَ العلـــمِ في أجوائـــه نـــوراً يشِـــعُّ وعزمـــةً تتوقّـــدُ

(المصدر نفسه، صص ١٠٧ -١١٠).

الإمام الصادق عليه السلام نور الضّحى، وفي قمة الفكر الإنساني والهدى الإيماني، ذكره كثورةٍ فينا وهذه الثورة تتجدَّدُ للفكر، الفعل المضارع "تتجدّدُ" تدلُّ على الاستمرار يعني في يومنا هذا تتجدّدُ الثورة للفكر، وإن كان فصل الزّمن بيننا والإمام ولكن فكره ونوره بيننا، والتاريخ كإنسان يجري ليشاهد نور الإمام. وهو في ظلّ هذه الأجواء وصراعات بين بني أميّة وبني العبّاس عندما يكون الشعب خامل وراقد، بعث علمه و شكّل حلقاته العلمية لإيقاظ هذا الشعب من نوم الغفلة والجهل. ممّا يهمّني أن أشيرَ إليه هو أنّ الأفعال "تتجدّد، تسبق، تخلد، تلهبُ، يشرق، يصعد، يجري، يعيش، يشعّ، تتوقّد، تسعُدُ" التي جاء بها الشاعر في هذه الأبيات كلّها مضارعة وهي تدلُّ على الاستمرار يعني فكر الإمام ورأيه ونوره يشعّ بيننا حتّى الآن ولن يطفأُ أبداً. وبما أنّ ثورة الإمام الصادق عليه السلام هو ثورة فكرية علمية ركزّت الشاعر على محور العلم والفكر في أشعاره.

ـ الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف: أشعار الشاعر المهدويّة مليئة بالأمل والرجاء، ويتحدّث الشاعر عن هذا الأمل وظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف هو الّذي يأتي ويملأ الأرض عدلا ويزيل الطغاة والخائنين الجاهلين. ولم يتحدث الشاعر عن علامات الظهور، بل أكّد على فكرة الأمل والرجاء والإجابة عن سؤال الشكّاكين في طول عمره، حيث يقول الشاعر:

أنناجيـــــك والنّجـــــاوى تطـــــولُ حســـــبُها منـــــكَ أنّـــــكَ المـــــأمولُ

كلّمـــا امتـــدّت الحيـــاة وطـــالَ الـــدّ ربُ واشـــــتدَّ بالســـــؤالِ السّـــــؤولُ

وحكينـــا لهـــم أحاديـــثَ مـــن عـــا شـــوا طـــويلا إن قيـــلَ عُمـــرٌ طويـــلُ

(المصدر نفسه، ص ١١٢).

في هذه الأبيات يشير الشاعر إلى الأمل والرجاء بظهور الحجّة ولو طال الدّهرُ ويقول الشاعر نذكر في قضية عمر الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه للّذين يبثّون الشكوك بين الناس قضية من عاشوا طويلا كنوح عليه السلام في رأيه قضية عمر الإمام مهدي عجل الله تعالى فرجه ليست عجيبة بل هي بيد الله تعالى. ولكن المهم هو أن لا ننسى أملنا ونسأل الله تعالى التعجيل في فرجه. ويقول الشاعر للإمام ألقابا أخرى:

هـــو ذا المصـــلِح الكـــبير فمـــن ذا يتحـــدَّى الإصـــلاحَ، أيـــن العَـــذول؟

نحـــنُ في وحشـــةِ الطريـــق حيـــارى ولـــديك الهـــدى وأنـــتَ الـــدّليلُ

(المصدر نفسه، صص ١١٦ -١١٤).

الشاعر يتحدّث عن الأسباب التي توجب رجاء ظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، لأنّ الحياة عبءٌ ثقيلٌ وتحتاج إلى الراحة والهدوء. ولأنَّ الصراط المستقيم إلى الله قد أضيع وتشعّبت السبل. ويجب أن يكون الدين والعقيدة في يد مصلح كبير ولا في يد جبان دعيّ. وتكرار كلمة "نرجوك" تدلّ على أنّ الشاعر يريد أن يقوّي فكرة الرجاء والأمل بالظهور بين الناس. في نظرة الشاعر إنّ غيبة الإمام الحجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف حكمة الإلهِ فلاتبلغُ أسرارَها العقولُ ويقول في البيت الأخير قضية غيبة صاحب العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف مِن أسرار الله ولن تصل عقول الإنسان إليها وقد شعّلت هذه الغيبة في قلوبنا نيران الحنين ولدينا شوق ولهفة لزيارة الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف، لأنّنا التائهون وهو الهادي والدليل. الشاعر في أشعاره المهدويّة يستخدم ضمير المتكلّم "نحن" أو "نا"، لأنّه يتحدّث ويتكلّم بلسان الأمّة وبهذا الأسلوب يؤكّد على واقع علاقته وأمّته بالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

إذا أمعنا النظر في أشعار الشاعر في محور الإمامة نصنّف الحقول الدلاليّة فيها حسب التصنيف التالي:

حقل الموجودات: السيف، قرآن، كعبة، شفة النبيّ، الكوكب، زورق الحياة، النجم، الشمس، الغيث، رائد الفجر، الصادق، المهدي، عليّ، الحسين.

حقل الأحداث: تتجدّد، تسبق، تخلد، تلهبُ، يشرق، يصعد، يجري، يعيش، يشعّ، تتوقّد، تسعُدُ، تخضب، نهفو، عجِّل.

حقل المجرّدات: الإصلاح، الجهاد، التحرير، العدل، العدالة، الإعطاء، الخلود، الإباء، الإيقاظ، المجد، الشهادة، الخِصب، العِلم.

حقل الصفات: الهادر، المنقذ الأعظم، الطويل، الحقّ، الفرج الأكبر، المصلح الكبير، الألق الساحر، الغيث الهامر، مستنير، مُفعم.

إذا دقّقنا النظر في المجموعات الأربع السابقة يتّضح لنا أنّ هذه الحقول تدخل كلّها ضمن ثنائيّة: "الهداية/ الضلالة"، وأنّها تتداخل عبر كثير مِن المفردات، وفي ضوء هذا التصنيف أنّ النور والهداية، وما يدلّ على الحياة والحركة والأمل هو الغالب في معجم الشاعر، إنّ الأئمّة عليهم السلام كلّهم كأنوار منبثقة من نور الله تعالى ومَن تبعهم اهتدى ومَن عصى عن أوامرهم فقد ضَلّ.

كما نستفيد مِن الزيادة الواضحة في الأفعال المضارعة، مقارنة بأفعال المضي، أنّ الاهتمام منصب على التعامل مع الحاضر والمستقبل وتدلّ الأفعال المضارعة على الاستمرار والحيوية أي يستمرّ فكر الأئمّة بيننا حتّى يومنا هذا. والشاعر لكلّ إمام جاء بالمفردات الّتي تدلّ على ميزاته، الإمام علي عليه السلام إمام العدل ومُحطّم الأصنام ورفيق أهل البؤس، والإمام الحسين عليه السلام هو رمز الإباء ونهضة الحقّ وقطب الهدى، والإمام الصادق عليه السلام هو مشعل يتوقّد بين الناس وبعلمه وفكره أيقظ الناس من نوم الغفلة، والإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف هو المصلح الكبير والفرج الأكبر والإمام المأمول، وإن طال الدرب. وكثيراً ما تتكرّر كلمة في أشعار الشاعر حول الأئمّة عليهم السلام مثل: النور، والهدى، والعدل، والحقّ. وهذا يدلّ على أنّ الأئمّة عليهم السلام كلّهم نور واحد وسبيلهم سبيل واحد وكلّهم عادل، والحقّ معهم. والضمائر في هذه الأشعار تنقسم إلى ثلاثة أقسام: فئة الغائب "يهتِفُ، يرقُدُ، رفّ، يشرق" وفئة المخاطب "رافقتَ، مضيتَ، حطّمتَ، ذكراك، كنتَ تُلهبُ، سناك، هداك، رأيتَ، مِنكَ، أنّك، إليك، أنتَط وتعود الغائب والمخاطب إلى الأئمّة عليهم السلام وفئة المتكلم: "نحن، منّا، بِنا، فينا، لنا، أناجيك، نرجوك، نمرح، تهفو، حكينا" وتعود هذه الفئة إلى الشعب المنتصر، الّذي جَعَلَ الشاعر مِن نفسه ناطقا باسمه، وصار يتكلّم بصيغة الجمع.

٢.٣ حقل فروع الدين

فروع الدين هي عشرة فروع ويجب على المسلم أداؤها وهي: الصلاة، والصوم، والخمس، والزكاة، والحج، والجهاد، الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، الولاية لأولياء الله، والبراءة من أعداء الله. الشاعر في ديوانه أنشد أشعاراً حول الصلاة، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتولّي والتبرّي. نتطرّق إلى هذه الفروع في ما يلي:

١.٢.٣ الصلاة

إلى جانب التوسّل بالأئمّة ودعاء الله سبحانه، كان الشاعر يحبّ الصلاة، بما فيها من معانٍ سامية، وترفّعٍ وارتفاع إلى أنوار الهدى ومشارق التّقى، هكذا كانت لحظات الشاعر الصوفيّة والعرفانيّة الرائعة، لأنّه لم يفهم التصوّف أو العرفان سوى علاقة مع الله، وصلاته خطابٌ بينه وبين الله تعالى، ونورٌ يفيضُ إشراقةً وصفاءً وحُبّاً. يقول الشاعر حول كيفيّة صلاته:

صـــلاتي يـــا ربٌّ انطلاقـــةُ خاشـــعٍ ولوعـــةُ إحســـاسٍ وخفقـــةُ إيمـــانِ

(المصدر نفسه، ص ٣٦٢).

يكشف لنا الشاعر في هذه الأبيات عن فهمه للصلاة بأنّها وسيلة لارتباط الإنسان بالله تعالى، وليست لارتباطه بالموجودات الأخرى، فمفهومها عنده يساوي مفهوم العشق للحقيقة. وما معنى صلاة في نظرة الشاعر إلّا الوصول إلى الله تعالى، لأنّه سرُّ المجد. السؤال الّذي يطرح هنا هو: أيّة صلاة توصِلُ الإنسان إلى الله تعالى؟ الصلاة التي تُقرأ وفيها المصلّي خاشع ومؤمن بالله وما في قلبه إلّا الله تعالى، وتنهى عن الفحشاء حيث يقول الشاعر:

ربّ هـذي الصـلاةُ حـبٌّ وإيمـانٌ ونَهـيٌ عـن فتنـة الفحشـاء

وينـابيعُ مـن خشـوعٍ يفـيضُ الـدّمعُ فيهـا في رقّـةٍ ورجـاءِ

(المصدر نفسه، صص ٣٨٢، ٣٨٩).

نرى في هذه الأبيات صوفية الشاعر وصلاته فيها حبٌّ وإيمانٌ وتنهى هذه الصلاةُ عن الفحشاء والمنكر: ﴿**إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ لَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ**﴾ (عنكبوت ٢٩: ٤٥). وهذه الصلاة وسيلة لعروج روح الإنسان للأفق الأعلى ولقاء مع الله تعالى، وفي صلاة هذا الإنسان خشوعٌ وبكاء، ولكن يرجو رحمة الله تعالى. الفعل المضارع "يفيض" يشير إلى الاستمرار أي الشاعر يبكي في صلاته دائماً.

نستطيع أن نصنّف الحقول الدلاليّة في محور الصلاة حسب الترتيب التالي:

حقل الموجودات: المسجد، النور، الآفاق، النّدى، السَّماء، الأجنحة، الدّمع، الينابيع، الصلاة، الله، ربّ، الذّرى، السُّفوح، النّدى، الجمعات، الرّوح.

حقل الأحداث: يفيض، حَيَّ، هبني، توحي، ألتقي، أعبدُ، أنالُ.

حقل المجرّدات: ابتهال، العروج، الخوف، الإرهاق، الحبّ، الإيمان، الرّجاء، لوعة إحساس، خفقة الإيمان، النهي، الفحشاء.

حقل الصفات: الرّقّة، الضَّعف، المُدَمّي، الإشراق، الصِّدق، الخاشع، الباقي، المُصفّي.

لو صنّفنا مفردات الشاعر في هذه الحقول الدلاليّة حسب توزيعها على ثنائيّة: المحسوس/ اللامحسوس أو المادي/ المعنوي لوجدنا:

المحسوس: أنا، الينابيع، السّماء، الأجنحة، النّدى، النّور، الدّمع، الدّمع، المسجد.

اللامحسوس: الروح، اللطف، الرجاء، الصّفاء، الحبّ، الإيمان، العروج، الرقّة، الخوف، الصّدق، المجد، الخشوع، أعبدُ، توحي.

لو أنعمنا النّظر في الحقول الدلالية للشاعر، لنجد أنّها تدلّ على حالة الحبّ الإلهي التي عاشها الشاعر في لحظات صوفيّة رائعة. والحقّ، أنّ حضور اللغة الدينية في هذه الأبيات لها فاعليّة تبدّت بأجلى صورها حين لاذ الشاعر بإيمانه مردّداً مفردات، وعبارات مستمدة مِن أصول قرآنيّة "يا ربّ، الصلاة، الله أكبر، المسجد، الرّوح، اللطف، النّور، العبوديّة، الخشوع، أعبد فيها الله، نَهي عن الفتنة الفحشاء"، فهو يدرك.

٢.٢.٣ الجهاد

كانت المرحلة الّتي عاشها الشاعر في النجف مرحلة متغيّرات سياسية، على مستوى العراق والمنطقة، وشهد السيّد محمّد حسين فضل الله أحداثا سياسيّةً تركت آثاراً واضحة في حياته «**من نكبة ١٩٤٨م وقيام النظام الجمهوري في العراق سنة ١٩٥٨م ... ولايرقى شكّ إلى أنّ الأدباء والشعراء، كانوا أوّل المتأثّرين بالواقع السياسي، مثلما أثّروا فيه، ويذكر السيد نفسه المعاناة السياسيّة الّتي كان الشعراء يعيشون فيها ثم يقول: وكنّا نتطلّع إلى الأجواء العامة من خلال القضيّة الفلسطينيّة الّتي تأثّرنا بها في بدايات نمونا الفكري والشعري**» (أبوصالح، ٢٠٠٤م، ص ٥٥).

وهناك باب في ديوان الشاعر يضمّ جملة من القصائد بعنوان *في أجواء الدعوة الإسلامية*، أثار فيها أجواء ومواقف الجهاد والشهادة، الّتي خلّدها السائرون على نهج الرسول، وأهل بيته على طول التاريخ. وتمثّلُ قصائد هذا الباب واقع الحركة الإسلامية، والتحديّات الّتي كانت تواجهها في العراق آنذاك. ومن أهمّ المفردات الّتي تتكرّر في أشعار الشاعر هو الجهاد حيث يقول: **صوتُ الجهادِ يَرِنُّ في أُفقي فَيَعبَقُ مِنه حُلمُ** (فضل الله، ٢٠٠١م، ص ٢٧٧).

من المفردات الّتي لها علاقة وثيقة بالجهاد هو الشهيد، الشهادة، الدّم، الدماء، العَلَم، الثائر، تثور، تشبُّ، يرفُّ، وكثيراً ما يتحدّث الشاعر عن الشهادة لإحياء روح الجهاد بين الناس وليخرج الناسُ عن حالة الانفعال حيث يقول:

وطـــني فـــديتُكَ بالـــدّما، لأرى عَلَـــمُ الجهـــادِ يـــرفُّ فـــوقَ دمـــي
وتثـــورُ في دنيـــاكَ ثـــائرةٌ للســـيف، للتحريـــر، للقلـــم

(المصدر نفسه، ص ٢٣٧).

لاتـــزال الـــدّماء تنـــزفُ في كـــلِّ طمـــوحٍ للحـــقِّ عـــبرَ الجهـــاد
كلّمـــا أطلـــعَ الجهـــادُ شـــهيدا عـــاشَ تاريخَـــه مـــع الأجـــداد

(المصدر نفسه، ص ٣٦٣).

السؤال الّذي يطرح هنا هو: هل آمن الشاعر بالجهاد؟ وهل دعا إليه؟ عندما نتناول أشعار الشاعر ندري أنّ العلامة فضل الله لقد آمن بالجهاد إيماناً كاملا ثابتاً إلى حدّ أن الشاعر يعتقد أنّ للجهاد رأيةٌ، ولواءٌ، وعَلَمٌ. يرى الشاعر أنّ المطلوب للردّ على هذه المظالم ثورة حمراء تحثّ روح الجهاد في الناس ثورة مستمدّة مِن العقيدة الّتي وهبها الله لهذا الأمّة. وفي هذه الأبيات يشير الشاعر إلى أنّ الجهاد يكون أمام الطغاة الّذين يظلمون والجهاد يُحيي روحَ الشهادة في الإنسان ليخرجَ نفسَه مِن الظلم والسجون والقيود. والأفعال المضارعة المستخدمة في هذه الأبيات "يرفّ، تثور، تشبّ، تنزف، يفتتح" تدلّ على الاستمرار؛ أي الجهاد مستمر ولا يقف ولا ينحصر في مكان وزمان محدّد.

للشاعر قصيدة بعنوان *سنثور*، وهو يتحدّث فيها عن ثورة الكيان على الذُلِّ ويتخيّر فيها المفردات الثوريّة لكي يُلهِبُ روح الثورةَ والجهاد في قلب المظلومين، حيث يقول:

كاللّيـــلِ كالإعصـــارِ كالقَـــدَرِ الـــمُدَمِّر كاللّهيـــبِ
كالمـــاردِ الجبّـــارِ كالبُركـــانِ كالـــدَّهر الغَضـــوبِ
ســـنثورُ وانتَفَضَـــت عُـــروقُ الأرضِ في الـــوطنِ السَّـــليبِ

(المصدر نفسه، ص ٢١٥).

شبَّهَ الشاعر الثورةَ بالليل، والإعصار، والقَدَر المُدمَّر، واللهيب، والمارد الجبّار، والبُركان، والدهر الغضوب ليشيرَ إلى أنّ في الثورة حرارة وشعلة تُحرِق بلهيبها الظالمين. وللشعب روح الكرامة وهذه الروح لا تسكت، ويتعاظم وعيُ الشعوب ويطغى ليبشّر الحياةَ بتحرير من الظلم. إذا لاحظنا في هذه الأبيات نجد أنّ الشاعر استخدم المفردات الّتي تدلّ على مفردات الطبيعة، وهي تدلّ على أن علاقة الشاعر بمفردات الطبيعة ليست علاقة وصف فقط، ولا يسلك طريق شعراء الطبيعة الذين يهتمّون بالوصف الحسيّ، بل أخرج الشاعر هذه المفردات عن معناها الأصلي ليعطيها معنى جديداً، والحقّ هي علاقة مشاركة وارتباط تحمل أبعاداً جهادية.

ويمكن تحديد الحقول الدلالية التي استقى منها الشاعر مفرداته حسب التصنيف الآتي:

حقل الموجودات: الأصنام، الجُند، القيد، الجيش، الضباب، السجون، النار، الدّم، السيف، القلم، اللواء، العَلَم، الرأية، الشُعلة، البركان، الأرض، يافا، الجليل، فلسطين، كربلاء، الوطن، الليل، الإعصار، الأغلال، الكأس.

حقل الأحداث: يستصرخ، يقتحم، يتلظّى، يوقد، تحطّم، ينتصر، تصنع، تحرّك، تزرع، تمتدّ، تلاقي، تحمل، يرفّ، تثور، لن يجِفّ، يطغى، يموت، يعود، تعوي، يدمدمون، تصرخ، تُشرقُ، يصرع، والأفعال المضارع تدلّ على النزوع نحو التغيّر والثورة.

حقل المجرّدات: الجهاد، الشهادة، الكفاح، الثورة، اليقظة، الهدنة، الحبّ، الإرادة، العدالة، التحرُّر، المجد، العزّة.

حقل الصفات: الناهضين، المجاهدين، الشباب، الشهيد، الجائر، الكادحين، البائسين، الشاربين، الرفيع، الحبيب، الرقيق، اللهيب، الغضوب، السليب، الخضيب، المدمِّر، الجبّار، الكئيب.

نجد في هذه الحقول أنّ الدلالات المعجميّة قد ارتبطت بالتشويق إلى الجهاد كما ارتبطت في سياقاتها بأبعاد شعوريّة عبّرت عن التحريض بالجهاد والاتّحاد وإعادة الكرامة والعزّة. وقد ملئت بكمّ هائل مِن الألفاظ، والجمل الدالة على روح الصمود والمواجهة. وحقل الجهاد هيمن على أبيات الشاعر بنسبة عالية فمفردات هذا الحق غطّت مساحة واسعة مِن معجمه الشعري. وتتراءى للدارس أنّ مفردات الطبيعة "السيف، القلم، اللواء، العَلَم، الرأية، البركان، الإعصار، الأغلال" كلّها مِن الأسماء وأخرجها الشاعر عن معناها الحقيقي وأعطاها معنىً جديدا ويضفي عليها مِن صفات وخصائص البشريّة ويجعلنا أن نحسّ بأننا أمام إنسانٍ، وهذا يدلّ على قدرة شاعرنا في تخيّر المفردات. ويتّضح مِن الأفعال الّتي استقاها الشاعر في هذا الحقل أنّ الأفعال المضارعة هي الطاغية على النصّ، واستنادا إلى ذلك فإنّ في النصّ حركية متميّزة، ناسبت حركية الصراع القائم بين الشعب المنتقض وظالميه، وهي بغية الشاعر من كتابة النص. مِن أهمّ ما يميّز المعجم الشعري لدى الشاعر ظاهرة التكرار إذا عالجنا هذه الأبيات نرى هذه الظاهرة مثل: الجهاد، الشهيد، الشهادة، الدم، الثورة، العَلَم، يثور. ونرى أيضا ظاهرة التضاد مثل: "العدل الظلم، الفجر الليل، الشرق الغرب، الموت الحياة، الرحمة الدمار". وفي هذه الأبيات مفردات إسلامية، وأخرى صوفيّة لها حضور واضح، فالإسلاميّة مثل: "النور، الجهاد، الشهيد، الشهادة، الخلود، المجاهدين، العدالة، التّقوى"، والصوفية مثل: "كأس الوجود، السنا، غوايات النهود، نشوان، يَرِنُّ". ولا غرابة في ذلك، لأنّ شاعرنا هو عالم دين، يعيش التصوّف بمعناه العام. تكثر الإضافات في أشعاره بدرجة لافتة "خطوات الطريق، مباديء انشقاق، لعبة الظّلم، ديجورة الظّلم، ثورة العَلَم، ثورة الأَلَم، قافلة الناهضين، روح الكرامة" وهي حاجة تعبيريّة، ووسيلة تخيّل فني في الوقت ذاته، فكما أنّ الشاعر يشعر أنّ الأسماء المفردة قد تقصر عن التعبير عن بعض الأشياء فيلجأ إلى ربطها بشيء آخر عن طريق الإضافة، فإنّه يتّخذ مِن أسلوب الإضافة وسيلة للتعبير عن بعض تخيّلاته الفنّية.

٣ـ٢ـ٣ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من صفات الأمّة الإسلامية ومن أسباب رقيها، وبلوغها درجةً وينبغي أن يتحلى به المؤمن وهو الفريضة السابعة والثامنة، بل إنّ علة خيرية هذه الأمة الّتي ذكرت في القرآن الكريم هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي اللحظة الّتي لا تأمر فيها الأمة بالمعروف ولا تنهى عن المنكر فقدت خيريتها، بل هي أمة كأية أمة لا شأن لها عند الله.

لم يشر الشاعر إلى فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قصيدة محدّدة بل أشار إليها ضمن القصائد المتعدّدة ومِن أهمّ المعروفات الّتي يأمر بها هي:

التّقوى، العودة إلى الإسلام، التعاون، التشاور، الوحدة بين المسلمين:

عـــــودوا إلى الإســـــلام إنّ بـــــه سِـــــرَّ الحضـــــارةِ إن تَعَمَّقنـــــا

(المصدر نفسه، ص ١٥٥).

يقول الشاعر هذه القصيدة للّذين يقولون إنّ الإسلام قد انتهى دوره واستُنفِدت أغراضه. مِن المعروفات الّتي يدعو إليها الشاعر هي العودة إلى الإسلام الحقيقي لأنّ هذا الإسلام أعطانا هذه الحضارة العظيمة ومازال نحن نقتدي بالأحكام الإسلاميّة نستطيع أن نصنع الحياة الطيّبة لأنفسنا. وفي رأيه الإسلام هو الدين الشامل والكامل. وتقدّمنا لأجل إجراء الأحكام الإسلاميّة ويخاطب المتغربين متسائلا عنهم عمّا جنوه من الحضارة الغربيّة وداعياً إياهم إلى العودة إلى الإسلام. يأمر الشاعر شعبَه بالإتّحاد وينهاهم عن التفرقة: إلى الأمّة الواحدة (المصدر نفسه، ص ١٦٥).

وَحِّـــدوا الـــدَّربَ وصـــونوا خَطـــوكم عـــــن فـــــراغٍ يزدهيـــــه الخـــــيلاء

(المصدر نفسه، ص ٣١٠).

واحشـــدوا القـــوَّةَ في الـــنَّشءِ فمـــا رَيـــــحَ الغايـــــةَ إلّـــــا الأقويـــــاء

لا طائفيـــــــــــة بيـــــــــــنهم تَرمـــــــي العقائـــــــدَ بـــــــالجحودِ

(المصدر نفسه، ص ٢٩٩).

ينطلق الشاعر في نظرته إلى وحدة الأمة ويعتقد بأنّ كلّنا أبناء هذه الطبيعة لا فرق بين العربيّة والعجميّة ولا يعتقد بالعنصريات ولا مباديء الانشقاق، ويدعو الأمة الإسلامية إلى حشد القوّة للدفاع عن البلدان الإسلاميّة. جاء الشاعر بالأفعال بصيغة الجمع "حِّدوا، احشدوا" وهو يدلّ على تأكيد الشاعر على الوحدة بين الأمّة الإسلامية والشاعر لايشير إلى شعب محدد ولا يذكر اسم بلد لأنّه يعتقد بالوحدة بين الأمة الإسلاميّة كلّها. يأمر الشاعر الناسَ بمراعاة العدالة، والتعاون، والصّداقة، والمشاورة:

أيهـــا المؤمنـــون كونـــوا مـــع العـــد لِ فهـــــذي شـــــريعةُ الأنبيـــــاء

(المصدر نفسه، ص ١٧٦).

وتعـــــاونوا واحفظـــــوا عهـــــدَ الصّـــــــــداقةِ في القلـــــــــوبِ

(المصدر نفسه، ص ٢١٥).

شـــاوروا النـــاسَ في الأمـــورِ، فَمـــا خـــا بَ امـــرؤٌ ســـارَ في الهُـــدى واستشـــارا

(المصدر نفسه، ص ٢٢٦).

أكّد الشاعر في هذه الأبيات على معروفات أخرى مِن الإحسان، ومراعاة العدل، والصّداقة، والتعاون، والمشاورة وكلّها مِن الأخلاقيات التي دعت إليها الرسالات السماويّة. يريد الشاعر مِن الناس أن يحسن إلى بعضهم بعضاً كما يحسن الله إلينا في المصائب والمشاكل. والعدل هو معروف آخر لأنّ العدل شريعة الأنبياء لأنّ من أراد أن يفهم الإسلام فَليَعُد إلى سنّة الرسول الأعظم (ص) إنّه روح السلام والحقّ والعدل. والتعاون والصداقة لهما أثر هامّ في الحياة الاجتماعيّة والمعروف الأخير الّذي يشار إليه هي المشاورة ولا يخاب من يسير في طريق المشاورة والاستشارة.

ينهى الشاعرَ الحكّامَ عن المعيشة الفاخرة وبناء القصور، والبغي والفساد:

أيُّها المترفون مِن أين هذا القصرُ// مِن أين هذا الأبراجُ// عِشتُمُ البَغيَ والفسادَ وماذا (المصدر نفسه، ص ٣٧٢).

يحمل الشاعر على الحكام الفاسدين الّذين يعيشون في القصور والأبراج متسائلا بحسرة وألم مِن أين هذه القصور؟ وأين ثرواتنا وطاقاتنا؟ إنّهم ينهبون ثروات شعوبهم ويستعمرون بلادهم ولم يتركوا لشعوبهم سوى الفقر والظلم، ولكن النّاس يخضعون صاغرين لهذه السياسات مِن غير أن يثوروا عليها انتقاماً لدينهم وكراماتهم.

ويمكن تحديد الحقول الدلالية الّتي تخيّرَ منها الشاعر مفرداته حسب التصنيف الآتي:

حقل الموجودات: الناس، الصباح، الإنسان، الأنبياء، النجم، الفجر، القلب، البئر، الروح، القصر، الأبراج.

حقل الأحداث: عودوا، تعاونوا، احفظوا، شاوروا، لاتُهلِّل، أحسن، صونوا، وحدّوا، احشدوا، احذَر، لاتَدَع.

حقل المجرّدات: السعادة، الاجتناب، الطغيان، الصداقة، التطهير، البغي، الفساد، الرِّجس، الزيف، الفضل، الإيقاظ، الكرامة، الحريّة.

حقل الصفات: المشيد، المِعطاء، الواحدة، الصُّراح، الطُهر.

استخدم الشاعر الألفاظ الدالّة على المعروفات "الصداقة، السعادة، الكرامة، الحريّة، التعاون، التشاور" والألفاظ الّتي توحي بالمنكرات "البغي، الفساد، الرّجس، الزيف، الطغيان، الطائفيّة". في هذا المحور الجمل الإنشائيّة "الأمر، النداء، الاستفهام" طاغية على الجمل الخبريّة لأنّ الموضوع هو الأمر والنهي والجمل الإنشائيّة تدلّ على حركيّة النصّ، والصراع القائم بين المعروف والمنكر. وأفعال الأمر شائعة في هذه الأبيات ويأتي الشاعر غالبية هذه الأفعال للمخاطبين "تعاونوا، احفظوا، شاوروا، عودوا، صونوا، احشدوا، وحّدوا". وهذه تدلّ على أنّ الشاعر يريد أن يخاطب الناس كلّهم ولا شخصا واحداً وفرقة محدّدة. ومِن الصنعات الأدبية الّتي تتجلّى في هذا المحور هي صنعة التضاد بين المفردات "الطُّهر الرّجس، الحبّ الحِقد، الإيمان الكفر" وهذا يشير إلى أنّ الشاعر مِن ناحية يأمر بمعروفٍ ما ومِن الناحيّة الأخرى ينهى عن منكر ما. وتترجّح كفّة المفردات اللامحسوسة على المفردات المحسوسة، لهذا إنّنا نلمح في هذا المحور خصوبة الأجواء الدينيّة على النمط الرومانسي.

٤.٢.٣ التولّي والتبرّي

التولّي والتبرّي أي محبّة أولياء اللّه ومعاداة أعداء اللّه؛ وبتعبير آخر التودّد للصالحين والأخيار، والتبغض للكفار والأشرار. إنّ هذه المودّة لسيت هي علاقة فحسبُ، بل هي برنامج عملٍ متكاملٍ في كافة المجالات والأصعدة أي هي حرب ضد ظلم الظالمين وفساد المفسدين وجرم المجرمين. العلامة السيّد محمّد حسين فضل الله أشار إلى هذه الفريضة في أشعاره من خلال الموضوعات المختلفة. والأئمّة عليهم السلام هُمُ الذين علينا اتباعهم والاقتداء بهم وأن نحبّ ولايتهم، كما أسلفنا القول في حقل الإمامة.

أنشد قصائد حول علماء لبنان كمحسن الأمين، حسن الأمين، على الشرارة، محمّد جواد فضل الله، محمد باقر فضل الله، محمد رضا فضل الله، محمد سعيد فضل الله، وأعطاهم الشاعرُ ألقابا، يقول الشاعر في رثاء محسن الأمين:

روحٌ لهـــــا مَـــــرَحُ الشَّـــــبا ... بِ وحكمـــــةُ الشـــــيخِ الرَّشـــــيدِ

يـــــا منقـــــذاً هِمَـــــمَ الشَّـــــبا ... بِ مِـــــنَ الجهالـــــةِ والرُّقـــــودِ

(المصدر نفسه، صص ٢٩٧ -٢٩٩).

الشاعر يدعو الناسَ إلى إحياء ذكر العلماء وأعطى محسن الأمين ألقابا مختلفة كـ"الشيخ الرشيد، يا منقذاً هممَ الشَّباب"؛ بعبارة أخرى، هو الشيخ الرّشيد ومنقذ همم الشّباب مِنَ الجهالة والرُّقود وعلى الأمّة الإسلاميّة إحياء ذكره. أخرج الشاعر مراثيه

عن دائرة الندب، والنواح على الميت إلى توظيف مناسبات الرثاء لصالح فكرته، وعقيدته، وذلك بالتبليغ مِن خلال المرثية لدعوته الإسلامية، ونشر مبادئها، بل يتّخذ مِن قصيدة الرثاء مناسبة لتذكير الأمّة الإسلامية بواقعها، ويدعوها للثورة عليه، لأنّه يشهد المظالم مِن قرب ويتحسّسها بعمق. أنشد السيّد أشعارا في رثاء أحد رجالات العراق البارزين:

يـــا فقيـــدَ العُـــربِ ذكـــراكَ صَـــدَى نَهضـــةٍ فَجَّـــرتِ الصَّـــخرَ نُبُوعَـــا

يـــا زعيمـــا كـــان أدنـــى هَمِّـــهِ أن تضُـــمَّ الوحـــدةُ العُـــربَ جميعَـــا

(المصدر نفسه، صص ٣١٥ـ٣١٦).

أعطى الشاعر هذين العالمين ألقاب "فقيد الحياة، رفاق الوفاء، فقيد العُرب، الزعيم" ومِن ميزات هذين العالمين هو إيقاظ الشعب مِن نوم الغفلة وإنقاذهم من يد الظالمين وتقوية الوحدة في المجتمع الإسلامي. تكرار الأدوات في شعر العلامة يشمل عنده النداء، والاستفهام وهذا النمط من التكرار جليّ في شعره، والشاعر كان يلتجئ إليه بقصد إبلاغ رسالة إلى المتلقّي. والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء وهو كان مِن كبار العلماء العراق:

وروحُـــكَ مـــا بيننـــا كالنســـيمِ تُرَفـــرِفُ طُهـــرا كمـــا تَقصِـــدُ

وذكـــراكَ لَمـــحُ السَّـــنا يَســـتنيرُ بهـــا الرَّكـــبُ إن أظلـــمَ الـــمَعهدُ

سَـــتُلهِبُ فينـــا دِمـــاءَ الشّـــبابِ ضِـــراماً يثـــورُ ولا يَرقُـــدُ

يهـــدِّدُ بـــالنّورِ منهـــا الطغـــاةَ لِيســـعَدَ بـــالحقِّ مَـــن يَســـعَدُ

(المصدر نفسه، ص ٣٣٠).

يكثر الشاعر مِن الرموز الطبيعيّة للتعبير عن حالة شعوريّة، أو ذهنيّة، وفي هذه الأبيات نجده مولعاً بالرموز الطبيعيّة، فهو يتعامل معها تعاملا قويّا، لأنّ علاقة الإنسان بالطبيعة علاقة أكيدة. ومِن الرموز الطبيعيّة التي استخدمها الشاعر في هذه الأبيات هي: "النسيم، السّنا، الضرام، النور" وكلّها يرمز إلى شيءٍ ما. النسيم رمز السكينة والطمأنينة، والسّنا والنور رمز الهداية والتحرّر والاستقلال، والضرام رمز الثورة. أراد الشاعر مِن وراء ذكر هؤلاء العلماء أن يجعل التراث فاعلا في الحياة الحاضرة، إنّما استعاد التراث برموزه ليربط الأمّة بجذورها، ويعطي للحاضر والمستقبل معنى الامتداد للماضي الذي يمثّل القاعدة الشعوريّة، واللا شعورية الّتي نستمدّ منها مفاهيمنا للإنسان والحياة.

الشاعر يتبرَّى من أعداء الله، ومن أعداء أولياء الله، وأعداء الأمّة الإسلامية: الكيان الصهيوني واليهود، والظالمين، والطاغوت، وعصبة الجاهلين، وزمرة الجامدين، ومجمع الجاحدين، وفرقة الضائعين...:

ماذا نريدُ وصَفَقَ (الجَلّادُ) للحَلِّ القريبِ

تجتاحُ جيشَ الغاصبينَ بعزمة الحقِّ المبين

(المصدر نفسه، ص ٢١٦).

المقصود من الجلّاد والغاصبين هو الكيان الصهيوني. الكيان الّذي عدوّ للأمّة الإسلامية كلّها واحتلّ أرض الفلسطين وهي بضعة المسلمين وهذا يدلّ على أنّ العدوّ في رأي السيّد ليس عدوّ بلده فقط بل العدوّ في نظرة الشاعر هو عدوّ الأمّة الإسلامية.

والشاعر استخدم مِن الرموز الطبيعيّة ويرمز بها إلى الظالمين والطُغاة: **يا أخوتي// مازال في الطريق//مستنقعٌ، وضِفدَعٌ يعيشُ للنقيق، ولم تزل في دربنا الطويل// تَحتشدُ الذِّئاب// وتَنبحُ الكلاب** (المصدر نفسه، ص ١٣٧)، و:

أرادوكَ أن تَنحنِـــــــــي للرّيـــــــــاح

(المصدر نفسه، ص ١٤٨).

إنّ أهمّية استدعاء هذه الشخصيّات السلبيّة وأمثالها، ممّن يمثّلون البطش والإرهاب والاستبداد، أنّها تقوم بدور الشّر في مقابل الخير، والظلم في مقابل العدل، والقمع في مقابل الحرية.

لو تتبعنا أنواع الحقول الدلاليّة في هذا المحور، لأمكننا حصرها فيما يأتي:

حقل الموجودات: الجبال، الليل، النسيم، السنا، الذئاب، الكلاب، الضفدع، المستنقع، الرياح، الشيطان، الشِّمر، أبو جهل، يزيد، فرعون، الضريح.

حقل الأحداث: يحمل، تنبض، تجتاح، يُردي، يشُقُّ، يحقد، تزحف، تسيرُ، يملأ.

حقل المجرّدات: انطلاقة، الجهالة، الرقود، انشقاق.

حقل الصفات: الرشيد، السديد، الكبير، المبيد، جبّارة، نقيّة، الطهور، الطُهر، عُلويّ، رَخيّ، أَبيّ، وَفيّ، المفتون، اللئيم، الذهول، الجَزوع، عنصريات.

إنّ الشاعر أبدى حبّه لعلماء الدّين، للذين هم رموز الوحدة بين المسلمين، ومنقذو هِمَم الشّباب مِن الجهالة والرُّقود، وفي المقابل أظهر غضبه وبغضه للظالمين ولـمَن يريد أن يمصّ دم المظلومين. يلتفت الشاعر في أشعاره في هذا المحور إلى الماضي موظّفاً رموزه الإيجابيّة "الإمام الحسين ...." والسلبيّة "يزيد، الشمر، الكيان الصهيوني..."، ويستدلّ بها على أنّ الغلبة في النهاية للحقّ.

الشاعر في رثائه للشخصيات الدينيّة يحرص على تقديم صورة خارجيّة مشرقة لعالم الدين، مِن خلال حرصه علي تقديم أفعاله الخيرة، وسجاياه الحميدة، وللرثاء عنده وظيفة أخرى هي الدعوة إلى التمسّك بالقيم العليا، والمثل الّتي حملها الميّت في حياته، وعمل بها. ويلاحظ هيمنة الأفعال المضارعة على الماضية، وهي وسيلة فنيّة أراد بها الإيحاء بالاستمرارية. ونرى كمّاً هائلا مِن مفردات الطبيعة نحو: "الذئاب، الكلاب، الضفدع...، والشاعر أخرجها عن معناها الأصلي ليعطيها معنىً جديداً ويرمز إليها.

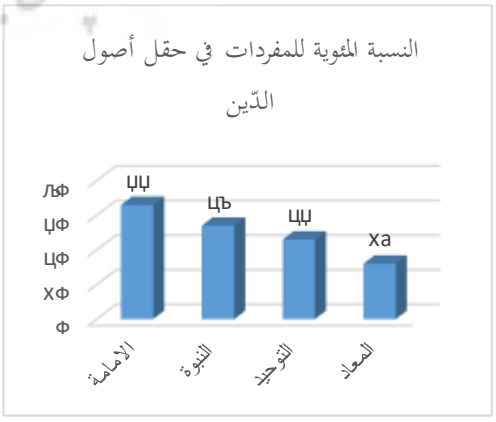

الخاتمة

نستنتج ممّا تقدّم:

أنّ معظم المعجم الشعري للعلّامة فضل الله يتناول شؤون الأمّة مِن منظور إسلاميّ. هو يعالج أوضاع الأمّة الإسلامية في ضوء المباديء الإسلاميّة، ويدعو إلى النّهضة للقضاء على التخلّف المرتبط إلى حدّ كبير بابتعادنا عن روح العقيدة وجوهرها الأصيل، وهذا ما جعل الغرب يستضعفنا وينهب ثرواتنا. وفي رأي الشاعر أنّ الخروج مِن هذا الواقع والعودة إلى دورنا الفاعل في التاريخ لايزال متوفّراً حين نرجع إلى الأحكام الإسلاميّة.

الشاعر في حقل أصول الدّين أنشد أشعاراً حول التوحيد والنبوّة والمعاد والإمامة. ومِن هذه الأصول أنشد الشاعر أكثر أشعاره حول أصل الإمامة إلى حدّ أنّ الألفاظ والمفردات في هذا الحقل تصل إلى ٨٤ مفردة، وفي حقل النبوّة ٦٩مفردة، وفي حقل التوحيد ٥٩ مفردة، وفي حقل المعاد ٤٠ مفردة. وفي حقل فروع الدّين أنشد الشاعر أشعاراً حول الصلاة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتولّي والتبرّي. أعظم وأكثر الألفاظ والمفردات حسب التصنيف الآتي: الجهاد ٩٧ مفردة، التولّي والتبرّي ٧٥، الصلاة ٤٠ مفردة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٤٠ مفردة. وحقل الجهاد هيمن على أبيات الشاعر بنسبة عالية. فمفردات هذا الحق غطّت مساحة واسعة مِن معجمه الشعري و تُرجَّح كفّته على كفّات الحقول الأخرى فلا تكاد تخلو قصيدة مِن قصائد الديوان مِن مفردات الجهاد ومعانيه، وهذا يعطي مؤشّراً على مدى الاهتمام بموضوع الجهاد سواء جاء التعبير عنه بمفردة الجهاد أو بالمفردات المعبّرة عن الشهادة والتضحية.

الشاعر يستثمر في ديوانه الرمز الموضوعي، وهو الّذي يستثير التراث بما فيه مِن طاقات تفجر الوعي لدى الجمهور المسلم، خاصة الرموز الحيّة في نفوس أنصار أهل البيت مِن مثل رمز الحسين والرموز الّتي تمثل واقعة كربلاء، وما صاحبها مِن رموز للشر والحقد مِن مثل رمز يزيد والشّمر. وقد يعمد الشاعر إلى الرموز اللغويّة مِن مثل: الذئاب، والكلاب، والظلام، والنور، والرياح، والضّحى، والفجر، والشّعاع، ودروب الضياء، والسناء، واليقظة، والحبّ، والجمال، والرّبيع، والحقّ، والخير، والليل، والإعصار، والقَدَر المُدمَّر، واللهيب، والمارد الجبّار، والبُركان، والورود، والفجر، البائسين. وتتعانق مفردات الطبيعة مع مفردات الوجدان والأحاسيس والمشاعر، وهذه المفردات في لغة الشاعر شأنه شأن شعراء الاتّجاه الوجداني.

❁❁❁

المصادر والمراجع

أ. العربية

❁ ***القرآن الكريم***

١. أبو صالح، إسماعيل خليل. (٢٠٠٣م). ***السيد محمد حسين فضل الله شاعراً***. (ط ١). بيروت: دار الملاك.

٢. أنيس، إبراهيم. (١٩٨٤م). ***دلالة الألفاظ***. (ط ٥). مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.

٣. الأميني، محمد هادي. (١٩٦٤م). ***معجم رجال الفكر و الأدب في النجف خلال ألف عام***، (ط١). بلا م.

٤. الخاقاني، علي. (١٩٥٦ م). ***شعراء الغري***، النجف: المطبعة الحيدرية.

٥. خزّاز قمي، علي بن محمد. (١٤٠١ هـ). ***كفاية الأثر في النصّ على الأئمّة الانثى عشر***. (تحقيق: عبداللطيف حسيني كوه‌كمرى). قم: بيدار.

٦. الخولي، محمد علي. (٢٠٠١ م). ***علم الدلالة***. الأردن: دار الفلاح للنشر والتوزيع.

٧. الضامن، حاتم صالح. (١٩٨٩م). ***علم اللغة***. الموصل: مطبعة التعليم العالي.

٨. عبد الجليل، منقور. (٢٠٠١م). ***علم الدلالة***. دمشق: اتحاد الكتّاب العرب.

٩. كوفي قاضي، محمد بن سليمان. (١٤١٢ه). ***مناقب الإمام أمير المؤمنين***. (تحقيق: محمد باقر محمودي). قم: مجمع إحياء التراث الإسلامي.

١٠. فضل الله، السيد محمد جواد. (١٩٨١م). ***الإمام الصادق خصائصه وممّيزاته***. بيروت: دار الزهراء.

١١. فضل الله، السيد محمد حسين. (٢٠٠١م). ***قصائد للإسلام والحياة***. (ط ٢). بيروت: دار الملاك.

١٢. ـــــــــــــــــ. (٢٠٠٣م). ***مطارحات في الشعر و الفن و الأدب***. (ط ١). بيروت: دار الملاك.

١٣. ـــــــــــــــــ. (بلا تا). ***الندوة***. (ط ١). بيروت: دار الملاك.

١٤. ـــــــــــــــــ. (١٤٢٢ه). ***في رحاب أهل البيت***. (إعداد: سليم الحسيني). (ط ٣). بيروت: دار الملاك.

١٥. مختار عمر، أحمد. (١٩٩٨م). ***علم الدلالة***. (ط ٥). قاهره: عالم الكتب.

١٦. المسدي، عبد السلام. (١٩٧٧ م). ***الأسلوبيّة والأسلوب نحو بديل ألسني في نقد الأدب***. تونس: الدار العربية للكتاب.

١٧. مهتدي، حسين. (١٤٣٥ه). «شخصية الرسول الأعظم في أشعار العلامة السيد محمد حسين فضل الله». ***مجلة آفاق الحضارة الإسلامية***، السنة السابعة عشرة صص ٩١ -١١٧.

١٨. مهدي، علي رفعت. (٢٠٠٠م). ***آل البيت في شعر السيد محمد حسين فضل الله***. بيروت: دار الملاك.

١٩. ـــــــــــــــــ. (٢٠٠٤م). ***الاتجاه الروحي في شعر السيد محمد حسين فضل الله***. بيروت: دار الملاك.

ب ـ الفارسية

٢٠. مهتدي. حسين. (١٣٩٥ش). «جلوه‌هاى بيدارى اسلامى در أشعار علامه سيد محمد حسين فضل الله». ***مجلة ادبيات پايدارى***. رقم ١٥. صص ٣٧٥ - ٣٩٩.

٢١. ـــــــــــــــــ؛ وبحري خداداد. (١٣٩٤ ش). «عاشوراء در آيينه اشعار علامه سيد محمد حسين فضل الله». ***مجله نقد أدب معاصر عربي***. السنة الخامسة. صص ١٤٥ -١٦٦.